الصدق
الفضيلة الجامعة

إعداد

أ.د.سليمان بن محمد بن فالح الصغير

مصدر هذه المادة :



الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين.. **أما بعد:**

فلقد تضـمن الإسـلام شـرائع عـدة، في العقيـدة والعبـادة وحيـاة الأسـرة وسـلوك الفــرد والجماعــة، ومما تســتهدفه هــذه الشرائع تربية النفس البشرية تربية سـوية، قوامها الخلق الفاضـــــــــل، ولأن الأخلاق الفاضـلة لابد لها من ضـابط يقومها ويـدهم نشـــاطها؛ فـــإن ذلك الضـــابط، هـــو: **«الإيمان»** فلا مكان للأخلاق بدون عقيـدة حــتى يشــعر الإنســان أنه يمثل في هــذا السلوك الأخلاقي دينه الذي يؤمن بـه. فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: **«أكمْلُ المؤمنين أحسنُهم خُلُقًا»**[1].

إن الأخلاق وإن كــانت انبعاثًا فطريًا فإنه يعـــرض لها من شـــواغل الحيـــاة الـــدنيا والافتتان بالأهواء والشهوات ما ينحـرف بها عن جـادة الحـق، لهـذا نجد الرسـول في

---

1 (?) أخرجه الترمذي بإسناد صحيح.

الحديث السـابق يـبين الترابط بين الإيمـان وحسن الخلق، فالإيمان له من التـأثير على الإنسان ما ليس لأية قـوة أخـرى داخلة في النفس أو خارجة عنهـــــــا، والأخلاق في الإسـلام ذات طـابع شـمولي تشـمل فكر الإنسـان واعتقـاده ونفسه وسـلوكه، فمن أخلاق الفكـر: تحـري الحـق، والإنصـاف، والتجـرد والحيـاد...، والصـبر على التـدبر والتفكر والبحث العلمي فهــذه كلها أخلاق ترتبط بفكر الإنسـان، ومن أخلاق الاعتقـاد: عــدم تتبع الأوهــام والخرافــات والتقليد الأعمى.. إلى غــير ذلــك، وأما حب الحق والخـــير والشـــجاعة والعفة وعلو الهمة والجود فـأخلاق تتصل بنفس الإنسـان، وأما ما يتصل بالســـلوك الظـــاهر من أخلاق فكثيرة.

وأمهــات الأخلاق ترجع إلى خلق أصــيل هــو: **«الصــدق»** ذلك الخلق الــذي يُعَــدُّ ضــــرورة اجتماعيـــة، لا يمكن لمجتمع أن يسـتغني عنـه، ومـتى أهمل هـذا الخلق في مجتمع ما، فترقب نهاية له مأساوية بشعة.. وعلى قدر درجة ذلك الإهمـال يكـون تفكك

المجتمع وتصـــارع أفــراده ونهب مصـــالح بعضهم، ثم يبدأ انهيـار هـذا المجتمع وينتهي بالدمار.

لك أن تتخيل مجتمعًا انعـــــدم فيه خُلُق **«الصـدق»** كيف تكـون الثقة بين أفـراده ســواءً بــالعلوم والمعــارف أو الأخبــار أو ضمان الحقوق والعهـود والوعـود والمواثيق أو الدعاوي والشهادات؟..

ولقد كــان أحد الأســباب الداعية لكتابة هـذا الموضـوع هو انتشـار الكـذب والغش والخــــداع بصـــــور مختلفة في مجتمعاتنا الإســلامية على مختلف المســتويات – مع الأسف الشديد – وتطرقت في الحديث إلى بشــاعة الكــذب وبعض صــوره وألوانه وما ذكره العلماء فيما يجوز منه وما لا يجوز؛ إذْ لا عيب والحـــديث عن الصـــدق أن يـــذكر ضـــده؛ ذلك أن حقـــائق الفضـــائل تتجلى بمعرفة أضدادها.

إن الإسلام يعلن أن الصـدق أحد الأسس الـتي يقـوم عليها بنـاء المجتمع الإسـلامي، ووضع قواعد لتربية هـــــــذا المجتمع على الصـدق واتخذ كل الوسـائل الكفيلة لغـرس

هذا الخلق العظيم في نفوس أفراده جميعًا صـــغاره وكبـــاره، رجاله ونســـائه، وجعل فضـــيلة (الصـــدق) جامعة ومرجعًا للأخلاق الفاضـــلة، ورتب عليها آثـــارًا حميـــدة في الحيـــاة الفردية والاجتماعية والأخرويـــة، ستتبين ذلك في ثنايا هذه الرسالة.

أسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكـــــريم وأن ينفعنا بما علمنا من العلم النافع.

كتبه

سليمان بن محمد بن فالح الصغير

رمضان المبارك 1421هـ

1- الصدق مفهومه وأسسه

مفهوم الصدق:

الصدق: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا، ومتى انخرم شرط من ذلك لا يكون صدقا تامًا..

والصدِّيق: الرجل الكثير الصدق.

وقيل: مَنْ لم يصدر منه الكذب أصلا.

وقيل: مَنْ لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق.

وقيل: من صدق بقوله واعتاده، وحقق صدقه، قال تعالى في إبراهيم : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ** ﴾[2].

فالصديقون: قوم دون الأنبياء في الفضيلة، ولكن درجتهم تأتي درجة النبيين[3].

وأصل الصدق في الأقوال سواء كانت ماضية أو مستقبلة ولكنه يتعدى ويكون في

---

1 (?) سورة مريم: الآية 41.

2 (?) سورة النساء: الآية 69.

3 (?) بصائر ذوي التميز: (3/379).

الأعمال. لـذا جـاء في أحد تعـاريف الصـدق أنه: (هو التزام الحقيقة قولاً وعملا)[1].

مما سبق نستنتج أن الصدق هو: تطــابق العقيــدة والقــول والعمل بعضــها مع بعض وتوافق ذلك مع الواقع والحقيقة.

أسس الصـدق النفسـية وانبثاقه وتأصـله في النفس:

يقصد بالأسس تلك الصـفات الـتي مـتى وجــدت في نفس إنســان فإنه أصــبح من اليســير عليه أن يتحلى بفضــيلة الصــدق، ومن أهم هذه الأسس:

1- محبة الحـــق: حيث يتولد الشـــعور النفسي بأن الحق هدف أسمى يسـعى إليه الإنسـان، ويبـذل جهـده في الوصـول إليـه، لأنه قوام الحياة كلها فيعشق الحق وتسري محبته في نفسه. أما جحـود الحق مع العلم بأنه حق فـــذلك انحـــراف خلقي قـــبيح، والعوامل النفســية الدافعة لهــذا الجحــود كثــيرة، وكلُّها لا تعــدو أن تكــون من قبيل

---

1 (?) أخلاص المسـلم، د/ محمد سـعيد معيض: (ص61).

الأهواء الجائحة[2].

وكذلك الـذي يُنْكِـرَ ذوي الفضـل، ويجحد علم أصـحاب العلم، ولا سـيما إذا كـان ذلك يُفْضي إلى الإضــرار بمصــالح ذوي الفضل والعلم، إنه لا يفعل شـــيئًا في ذلك إلا من حُـرِم عمـاد الأخلاق الكريمـة، وسـقط في رذيلة كبرى من الرذائل الخلقيـة، هي رذيلة جحـود الحق وعـدم الاعـتراف به والإذعـان له.

2- ومنها الجرأة والصراحة: فإن الشجاع صدوق صريح لا يعـرف المـداراة والمداهنة فلا يحتال ولا يخادع ولا يكذب.

3- ومنها الأنفة ونبل النفس: فـإن الإبـاء يــدعو إلى أن يصــون المــرء كرامته من الــدنايا، وينزهها عما لا يليــق، حــتى تكــون نفسه نبيلة الغاية كريمة السجايا.

وأما الإيمــان فهو الــذي تنبثق فضــيلة الصدق منه؛ إذْ إن الإيمان بالله شـهيد على استقامة حياته ظاهرًا وباطنًا علانية وسرًا.

ويتأصل الصــدق في النفس إذا تــذكر

---

[2] (?) الوجيزة في الأخلاق الإسـلامية وأسسـها، لعبد الرحمن الميداني: (ص212).

الإنسان الآخرة، وما يكون فيها من جزاء رغبة في ثواب الله، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة.

* * *

2- فضائل الصدق وخصائصه

1- الصدق رأس الفضائل، وأجمل الصفات الحميدة التي يتحلى بها الإنسان وتزيده في العلم هيبة ووقارًا. إذ به تُنَال الثقة وتُكْسب الثروة ويَطيب العيش. والصدق إحدى الضروريات التي يتوقف عليها نظام العالم بأسره. ألا ترى أنه بالصدق تثبت الحقوق، وتحفظ الأرواح. ويتم النظام، ويعيش الناس في أمان وسلام، ولولاه لانتزعت ثقة الناس بعضهم من بعض، ولما وصل إليهم شيء من الحقائق في العلوم والأديان.

ألا ترى أن الرجل الصادق يكون دائمًا موضع الثقة ومحل الأمانة مبجلاً محترمًا مهما كانت درجته. لأن الصادق لا يكون خائنًا، ولا مختلسًا، ولا موزرًا، ولا نمامًا، ولا مخادعًا، ولا غشاشًا.

فإذا عاملت رجلاً صادقًا فأنت في مأمن

على مالك وعرضـك. ويكـون هو على يقين من رغبة النــاس في معاملتــه. فالتــاجر لا يعامله الناس إلا إذا اشتهر عنه الصـدق في المعاملة. والصـانع ينصـرف عنه عملاؤه إذا لم يصدق في مواعيده. والطبيب لا يقصـده أحد إلا إذا وثق به النـــاس وكـــان صـــادقًا، والصدق من أهم الأسـس، بل هو الأسـاس المتين الذي تقوم عليه المجتمعات. ولــولاه ما بقى مجتمع. ذلك لأنه لابد للجميع من أن يتفاهم أفـراده بعضـهم مع بعض. ومن غـير التفاهم لا يمكن أن يتعاونوا.

والـــدليل على ضـــرورة الصـــدق هو أن أغلب المعلومات التي وصلت إلينا بالسماع أو بـــالقراءة مبناها الصـــدق. وعليها يعتمد الإنسان في معاملاته وتصـرفاته. فلو كـانت مكذوبة لكـانت الأعمـال المبنية عليها خطأً وخللاً. ولما وصل إلينا من العلم إلا القليـل، ومن أجل هذا عُد الصدق أساسًا من أسس الفضائل، وعنوانًا لرقي الأمم وعزتها.

ويُعد خلق (الصــــدق) عمـــــاد الأخلاق ومرجعًا لأمهاتهـــا، حيث تـــرى الإنســـان الصـــادق يتصف دائمًا بالفضـــائل والأخلاق

فتجـــده صـــريحًا لا يـــرائي، مســـتقيمًا غـــير متذبذب، كريمًا حازمًا، أمينًا، قنوعًا، رحيمًــا، بارًّا، صابرًا، عفيفًا، متواضًعا، واضحًا، عاملاً، عـــادلاً، بعيـــدًا كل البعد عن الغش والغـــدر والمكر.. أما الإنسان الكاذب فتجده بعكس ذلك.

فالصـــــدق ضـــــرورة لبنـــــاء الشخصـــــية، وفضيلة من فضائل السلوك الحضارية ذات النفع والأثر العظيمين.

2- الصــدق يهــدي إلى الإيمــان وإلى كل خـــير يقـــول ﷺ: **«عليكم بالصـــدق فـــإن الصـــدق يهـــدي إلى الـــبر، وإن الـــبر يهـــدي إلى الجنـــة، وما يـــزال الرجل يصـــدق ويتحـــرى الصـــدق حـــتى يكتب عنه الله صديقًا وإياكم والكذب، فإن الكـــــذب يهـــــدي إلى الفجـــــور، وإن الفجـــور يهـــدي إلى النـــار، وما يـــزال الرجل يكـــذب ويتحـــرى الكـــذب حـــتى يكتب عند الله كذابًا»**[1].

فدل هذا الحديث على أن الصــدق يهــدي

---

1 (?) متفق عليه من حديث ابن مسعود.

إلى البر، والبر كلمة جامعة تدل على كل وجوه الخير، ومختلف الأعمال الصالحات، مما هو زائد على فعل الواجبات وترك المحرمات من الأمور التي تقتضيها مرتبة التقوى.

ومن كان صدوقًا خُلُقه الصدق فإنه لا يمكن أن يكون منافقًا، لأن الكذب هو العماد الأول للنِّفاق، والصادق إما أن يؤمن حقًا ويعلن إسلامه بصدق، وإما أن يتوقف حتى تتبيَّن له الحقيقة، فخلق الصدق يمنعه من أن يظهر الإيمان كذبًا، ويبطن الكفر، كما يمنعه من جحود الحق بعد معرفته.

3- الصدق خلق قابل للاكتساب والترسيخ، ففي الحديث أيضًا دلالة على أن خُلق الصدق في حياة الإنسان قابل للاكتساب، وقابل للتنمية والترسيخ، عن طريق التدريب اعملي المقترن بالإرادة الجازمة، فمِنْ مظاهر الإرادة الجازمة تحري الصدق في الأقوال كلها، وفي مختلف وسائل التعبير العمَلية. والذي يتحرَّى الصِّدْق لا يسمَحُ لنفسه بأن يلقي كلامًا جزافًا دون تروٍّ ولا بصيرة، ولا يسمح

بـــــــــأن يتبع ما ليس له به علم، فيحكم بالظنون الـتي ليس لها ما يـدعمها ويؤيـدها من الأدلة الكافية للإثبـــــــات أو للنفي، ولا يســمح لنفسه بــأن يــرائي أو ينــافق في أعماله لأنه يحــرص على الصــدق ويتحــرى بإرادته الجازمة الصدْق في أقواله وأعماله، وعندئذ يكون صدِّيقًا، وهذا ما بينه الرســول بقوله في الحــــــــــديث: **«وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا»**.

وجــاء في رواية أخـــرى: **«ولا يــــزال الرجل يصدق ويتحـرى الصـدق حـتى يكتب عند الله صديقًا»**.

4- الصدق أحد أسباب دخول الجنة: فعن عبـــــــــــــــــــــــــــــــــادة ابن الصامت ، أن النبي قال: **«اضـمنوا لي ستا من أنفسكم أضـمن لكم الجنـة: اصـــــدقوا إذا حــــدثتم، وأوفــــوا إذا عاهدتم، وأدوا إذا ؤتمنتم، واحفظوا فـروجكم، وغضـوا أبصـاركم، وكفـوا أيديكم»**[1].

1 (?) رواه الإمـام أحمـد، والـبيهقي في شـعب الإيمان.

فجل الرسول في هذا الحديث الصدق أحد عناصر ستة مَنْ تحلي بها دخل الجنة، وفي هذا ترغيب بالتحلي بخلق الصدق.

5- لا يكون المؤمن كذابًا: قال تعالى: **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**[1].

وعن صفوان بن سليم: **«أنه قيل لرسول الله : أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: نعم. فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم. فقيل: أيكون المؤمن كذابا؟ قال: لا»**[2].

فدلت الآية على حصر افتراء الكذب بالذين لا يؤمنون، أما الكذبات العارضات في حياة الإنسان، التي لا تكون افتراء مدبرًا مقصودًا، والتي لا تكون من خلق متأصل ثابت، فربما تقع من المؤمن.

وكذلك دل الحديث على أن المؤمن لا يكون كذابًا، أي: لا يصل إلى مستوى في تحري الكذب يوصف فيه بأنه كذاب، أما

---

1 (?) سورة النحل: الآية 105.

2 (?) رواه الإمام مالك في الموطأ.

الكـذبات العارضـات فليس في الحـديث ما يـدل على أنها لا تكـون من المـؤمن، وذلك لأن (كـذاب) صـيغة مبالغة تـدل على تمكن خلق الكـذب في نفسـه. فـافتراؤه وافتعاله عن إصرار وتعمد إنما يفعله الكذابون الذين لا يؤمنون فتبيَّن تلازم الإيمان والصدق.

6- حصـــول الصـــادقين على معية الله ومنزلة القــرب منــه: قد أمر الله سـبحانه وتعالى أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين وخصص المنعم عليهم بـالنبيين والصـديقين والشهداء والصالحين، فقــال: ﴿**يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَـعَ الصَّـادِقِينَ**﴾[1].

ولهم منزلة القرب منه، إذ درجتهم تــأتي درجة النبيين، أثـنى عليهم بأحسن أعمـالهم من الإيمــان والإسـلام، والصـدق والصـبر وبأنهم أهل الصدق، فقال: ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَــوْمِ الْآخِــرِ وَالْمَلَائِكَــةِ وَالْكِتَــابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾ إلى قولـــه: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ صَـدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُـونَ**﴾[2]،

---

1 (?) سورة التوبة: الآية 119.

2 (?) سورة البقرة: الآية 177.

وهــذا صــريح في أن الصــدق بالأعمــال الظـاهرة والباطنـة، وأن الصـدق هو مقـام الإسلام والإيمان.

* * *

3- الصدق في أقوال السلف والحكماء

قــال عمر بن الخطــاب : لأن يضــعني الصــــدق - وقلما يفعل - أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل.

وقال إبراهيم الخـواص: الصـادق لا يُـرى إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل به.

وقــال يوسف بن أســباط: لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصـــــــدق أحب إلي من أن أحارب بسيفي في سبيل الله.

وقال بعضهم: مَنْ لم يؤد الفرض الــدائم لا يقبل منه الفــرض المــؤقت، قيــل: وما الفـرض الـدائم؟ قـال: الصـدق. وقيـل: من يطلب الله بالصدق أعطاه مــرآة يبصر فيها الحق والباطل.

وقـال الحـارث المحاسـبي: الصـادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قَدْر له في قلوب الخَلْق من أجل صــلاح قلبه ولا يحب اطلاع النـاس على مثاقيل الـذر من حسن عملـه، ولا يكـره أن يطلع النـاس على الشـيء من عملــه، فــإن كراهته له دليل على أنه يحب الزيـــادة عنـــدهم وليس هـــذا من علامة

الصـديقين، هـذا إذا لم يكن له مـراد سـوى عمـارة حاله عنـدهم، وسـكناه في قلـوبهم تعظيمًا له، وأما لو كان مراده بـذلك تنفيـذًا لأمر الله ونشرًا لدينه ودعوة إلى الله فهـذا الصـــادق حقًا والله يعلم ســـرائر القلـــوب ومقاصدها.

وقال بعضهم: الصـادق الـذي يتهيأ له أن يكون ولا يستحي من سره لو كشـف. قـال تعالى: ﴿**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[1].

وقال عبد الواحد بن زيد: الصـدق الوفـاء لله بالعمل. وقيل: استواء السر والعلانية.

وقال علي ﷺ: قد يبلغ الصادق بصدقه. ما لا يبلغه الكـــاذب باحتيالـــه. ومن كلامه ﷺ: الإيمان أن تـؤثر الصـدق حيث يضـرك على الكـذب حيث ينفعـك. وقـال أيضًـا: الباطل والحق يتداولان دول الزمـان من غـير مذلة للحق ولا معزة للباطل.

وقـــال الأحنف بن قيس: يا بـــني، يكفيك من شـرف الصـدق أن الصـادق يقبل قوله

---

1 (?) سورة البقرة: الآية 94.

في عدوه. ومن دناءة الكذب أن الكــاذب لا يقبل قوله في صديقه ولا عدوه. لكل شيء حلية وحلية المنطق الصــــدق يــــدل على اعتدال ووزن العقل.

وقال الشعبي: عليك بالصدق حيث تــرى أنه يضرك فإنه ينفعك. واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك.

وقـــــال عبد الملك لمعلم أولاده: علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن.

وقــال أرســطاطاليس: أحسن الكلام ما صــدق فيه قائلــه. وانتفع به ســامعه. وأن المــوت مع الصــدق خــير من الحيــاة مع الكذب.

وقــال الحكمــاء: الصــدق عمــود الــدين، وركن الأدب، وأصل المــروءة. فلا تتم هــذه الثلاثة إلا به.

وقــال أحد العلمــاء: علم ابنك الصــدق، والصدق يعلمه كل شيء.

وقـــــال آخـــــر: ليكن مرجعك إلى الحق ومنزعك إلى الصـدق. فـالحق أقـوى معين. والصدق أفضل قرين.

وقـال آخـر: لا سـيف كـالحق، ولا عـون

كالصدق، الحق ملجأ الضعفاء والأقوياء.

وقال بعض الفضلاء: الصـدق منجيك وإن خفته. والكذب مرديك وإن أمنته.

وقال بعض العلماء: من صـدق في مقاله زاد في جماله.

وقال آخر: تحـروا الصـدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكــذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة.

وقال محمود الوراق الشاعر:

الصدق نجاةٌ لا ربا   وقُرْبة تُدني إلى

وقال أحد الشعراء:

الصدق يُمْنٌ   فيه الكرامةُ

وقال آخر:

عوّدْ لسانك قولَ   إن اللسانَ لِمَا

مُوَكَّلٌ يَتَقَاضى ما   في الخير والشر

وقال آخر:

عليكَ بالصدق ولو   أحرقك الصدق

وقال النيسابوري:

وأكرم الآداب   أكرم به أكرم به

أعدل شاهد على   أقرب منهاج إلى

شرف به أخلاقك استر به حالاتك
من صدق الحديث في الأموال[1]

***

4- الصدق في العقيدة والأقوال

الصدق في العقيدة:

الصدق في العقيدة هي أن تكون موافقة للحقيقة فيجب أن تقوم هذه على البحث والنظر حتى تصل إلى درجة اليقين فتكون عقيدة صادقة، والصدق في الإيمان بالله هو أمانة الفطرة القائمة على توحيده تعالى وهذه الأمانة هي العهد العظيم، حيث يستلزم ذلك الإيمان بالرسول وبالدين الذي جاء به، فهذا هو التكليف الشرعي لقيام الحياة في الأمة الإسلامية على شرع الله في جميع شؤونها، فالعمدة في الفصل بين الصدق والكذب هو الاعتقاد.

الصدق في الأقوال:

الأصل في الصدق أن يكون الأقوال

---

1 (?) هذه الأقوال منتقاة من مجموعة مصادر منها: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (جـ3)، وفلسفة الكذب، للدكتور/ مهدي علام، وحكم وآداب... وغيرها.

الماضية والمستقبلية الخبرية، ومعنى كـون الصـدق في القـول هـو: أن يكـون القـول الصـادر من الإنسـان مطابقًا لما هو مـتيقن منه في نفسه وأن يكـــون موافقًا للحقيقة الواقعة. ومثال ذلك: أن المؤمن إذا قـال لا إله إلا الله محمد رسـول اللـه. كـان صـادقًا في قولـه، ولكن المنـافق إذا قـال لا إله إلا الله محمد رسول الله كان كاذبًا في قولــه؛ لأن قول المنافق وإن كــان موافقًا للحقيقة فإنه غير متيقن منه في نفسه أي أنه خالف اعتقاده أو فعله، وأهمية الصدق في القـول وعظمته كبيرة جدًا.

روى أبو داود عن ســـفيان بن أســـيد الحضـرمي قـال: سـمعت رسـول الله يقـول: **«كبرت خيانة أن تحـدث أخـاك حـــــديثًا هو لك مصـــــدق وأنت له كــاذب»**[1] لـــذا حـــذر رســول الله من التسـرع في نقل الأخبـار قبل التثبت منهـا، لئلا يقع الناقل في الكذب.

عن أبي هريـرة أن رسـول الله قـال:

---

[1] (?) أخرجه الإمـــام أحمد في المســـند: (4/182)، وأبو داود في الأدب: (71).

«كفى بالمرء كـذبًا أن يحـدث بكل ما سمع»[1].

ومما نشـــــــاهده في مجتمعنا أن بعض النـاس ينـدفع إلى الكـذب، حين يعتـذر عن خطأ وقع منه، ويحاول التملص من عواقبه. وهذا غباء وهـوان، وهو فـرار من الشر إلى مثله أو أشد، والواجب أن يعـترف الإنسـان بغلطـه. فلعل صـدقه في ذكر الواقع وألمه عما بدر منه يمسحان هفوته ويغفـران زلته وينجيانه مما خشي من العاقبة.

إن الرجل الصـادق يسـتطيع إذا أراد أن يتحـدث عن أشـياء يشـعر بها في نفسـه، كمشـــــــاعر الحب والبغض أو يحس بها كـــالعطش والجـــوع ونحو ذلك مما يدركه بحواسه الخمس فإنه يستطيع أن لا يحـدثك إلا ما يطـابق الواقع والاعتقـاد فلا يقـول: (إني أبغض فلانـا) وهو يحبـه، كما لا يقـال: (سمعت صراخا) أو (رأيت فلانـا) مثلا إلا إذا كان قد سمع فعلا أو رأى على الحقيقة.

أما إذا كان الحـديث عن أمر حـدث تلقى

---

1 (?) أخرجه مسلم.

خــبره عن شــخص آخــر، أو أدركهما نتيجة تفكر واســـــتدلال، فـــــإن ذلك يتطلب من الرجل الصادق التروي والاحـتراس؛ ذلك أن هذين الأمرين قد يزلقان الرجل إلى القـول بما يخــــالف الواقع والحقيقة في أحــــايين كثــيرة فينزلانه محل ضــعاف الثقـــة، وقد تنسب إليه صـفة الكـذب، ولـذا وجب أن لا يُحَــدِّث بها قبل أن يتأكد من حقيقتهــا، وإن رأى الحـال يتطلب روايتها والحـديث عنهـا، فعليه أن يعــرض ما يرويه مســندا ذلك إلى رواتها حــتى يخــرج من عهــدتها في حــال صــدقها أو كــذبها، وأما اســتنتاجاته وظنونه فله أن يعرضها بصيغة الاحتمال فلا يطرحها بصيغة الجـزم.. ولـذا فمن أسـند حديثه إلى من ســمعه منـــه، واقتصر في اســـتدلالاته واستنباطاته فقط حقق الصدق.

ومما لا يخــرج عن حــدود الصــدق أيضًــا الكناية والمجــاز بأنواعه المختلفــة، فلا يعد ما جـاء على سـبيل ذلك من الكـذب نظـرا لوجود قرينة تدل على إرادة المجـاز، كقوله تعـــالى: ﴿**وَيَعْلَمُ مَا جَـــرَحْتُمْ بِالنَّهَـــارِ**﴾ [الأنعــام: 60] أو كقولــك: (أكلت التفــاح) و

(شــربت النهــر) وأنت في الحقيقة لم تأكل إلا تفاحة واحدة ولم تشرب إلى جزءا يسير من النهر.

وأما القصص الخيالية ســواء الــتي تُحكى على ألســـنة الجمـــاد أو الحيـــوان أو على ألسنة أناس يُســتدل بقرينة يضــعها المتكلم للدلالة على أنها من اختراعه ونسج خياله وتســـتهدف العـــبرة والعظـــة. فإنها تلحق بالكــذب لأنها من قبيل الإخبــار بما يخــالف الواقـع. ولكنه عُــدَّ عند بعضـهم أن ذلك من الكـذب المبـاح، لأن العـرف ولسـان الحـال جريا على أن مثل هذه الحكايات تقال على أســاس أنها مختلقة فكــأن القائل يعلن أنه سـيقول قــولاً كـذبًا لغاية بريئـة، فالسر في تحريم الكذب معدوم في هذه الحالة.

ومهما هــاجس في النفس من مخــاوف إذا قيل الحق فالأجدر بالمســلم أن يتشـجع وأن يتحرج من لوثات الكذب.

قــال رســول الله ﷺ: **«تحــروا الصـدق وإن رأيتم أن الهلكة فيــه، فــإن فيه**

النجاة»[1]. وقال: **«إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جاء به»**[2].

والصدق في الأقوال يوصل بصـاحبه إلى الصدق في الأعمال والصـلاح في الأحـوال، فإن حرص الإنسـان على الـتزام الحق فيما ينبس به يجعل ضياء الحق يسطع على قلبه وعلى فكره، ولذلك يقول الله عـزَّ وجـل: ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَقُولُــوا قَــوْلًا سَــدِيدًا * يُصْــلِحْ لَكُمْ أَعْمَــالَكُمْ وَيَغْفِــرْ لَكُمْ ذُنُــوبَكُمْ وَمَنْ يُطِــعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾[3].

ولقد وضع الإسلام قواعد ووقف أمام ما قد يعترض الإنسـان من بلاء ومحنـة، وليس أشد على المـؤمن الصـادق من أن يبتلى أو يضـطر بـأن يكـذب... لـذا فلو اعترضت له على وجه الندرة حـال يكـون حـديث الرجل فيها بما يطـــابق الواقع جالبًا عليه أو على غيره ضررًا فاحشًا فإنه يجـوز له أن يصـوغ حديثه في أسلوب لا يجلب ضررًا. وأن يأخذ

---

1 (?) ابن أبي الدنيا.

2 (?) الترمذي.

3 (?) سورة الأحزاب: الآيتان: 70، 71.

بالتعريض، وهو الأسلوب المحتمل لمعنــيين يفهم السامع منها معنى ويريد المتكلم منها معنى آخر وإن شئت فقل: (هي ألفاظ ذاتُ وجهين: أحدهما غير حقيقــة، وهو ما يســبق إلى فهم المخاطب، وثانيهما حقيقة، وهو ما يقصد المتكلم. ويحق لك أن تســمي اللفظ من أجله حديثًا صادقًا. وهذا ما يفعله الـذين أُشربوا صـدق اللهجـة، مـتى عرفـوا أن في القول الصريح حرجًا أو خطرًا)[1].

ومما يساق مثلاً لهذا أن أبا بكر الصـديق كـــــــــــــان يُســـــــــــــأل عن النـــــبي في طريق هجرتهما من مكة إلى المدينـة، وهو يريد كتم أمـره، فيقـول: هـذا يَهْدِيني السبيل. يريد أبو بكر من: (السبيل) ســبيل الخــير والســعادة، ويحملها الســائل على الطريق التي يسلكها المسافرون.

عُني الإسلام بصدق الحديث جهد العناية، ويريد مع هـــذا للأمة إخـــاء وائتلافًا يجعلها كالبنيــان يشد بعضه بعضًــا، ويريد لجيشــها الفـوزَ على الأعـداء، ويـرغب في أن يكـون

---

1 (?) صدق اللهجة.

الزوجـان على وفـاق، وحياتهما في نظـام، لهذا خفف المصطفى صلوات الله عليه في الكلمـــــة: يقولها الرجل ليطفئ عـــــداوة استمرَّت بين طائفتين، أو يقولها في حـرب ليكفيّ قومه قارعـــةً تسـلِّط الأعـــداء، أو ليِّسكت غضب زوجته الصالحة.

وقد ذهب القاضي أبو بكر العــــربي في تأويل الحـديث إلى أنه أذِن في المعـاريض، فذكر هذا الحديث الـذي يُـروى في اسـتثناء الحرب والإصـلاح وإسـكات غضب الزوجـة، ثم قـــال: ولكن ذلك بالمعــــاريض، وهي الألفـاظ الـتي يفهم منها السـامع خلاف ما يريد القائل، فهذا المأذون فيه.

* * *

5- الصدق في الأفعال والأعمال

نعم الأفعال تكون صادقة وتكـون كاذبـة. فالفعل الصـادق ما وافق العقيـدة وما كـان صـحيحًا صـوابا. فلا يكـون الفعل صـادقًا وصـوابًا إلا بشـرطين: الأول؛ الإخلاص للـه، والثاني: الصحة الموافقة للواقع.

وتوضـيح ذلـك، أن الـذي يصـلي صـلاة صـحيحة موافقة لما جـاء به الرسـول من

الشـــروط والأركـــان... إلخ ولكنه يقصد في هذه الصـلاة الريـاء والسـمعة. فنقـول هـذا غير صادق في صلاته؛ لأنه فقد الإخلاص لله تعـالى، وكـذا من يصـلي مثلا العصر خمس ركعات، هذا ولو أخلص لله تعالى في صلاته فإنه غـــير صـــادق فيهـــا! (أما الكـــذب في الأفعـــال فيكـــون بـــأن يتظـــاهر بـــالورع والاســـتقامة وهو فاســـق، أو أن يتظـــاهر بـالعلم وهو جاهـل، أو بـالكرم وهو بخيـل، وهكذا حتى إذا حقق غرضه عاد كما كان.

يلاحظ أن بعض المرشـــــــــــحين في الانتخابات من ضـعاف الإيمـان يسـارع إلى المسجد ويصلي مع النـاس وقد يكـون غـير متوضئ ليـوهم النـاس بصـلاحه كي يكسب أصـوات النـاخبين البسـطاء من المتـدربين، وقد يصرف أحـدهم الأمـوال على أصـدقائه دون حساب كي يقال أنه غني، أو أنه يطيل سبحته ويقرأ الأوراد ليـوهم زبائنه بصـلاحه، وقد تُـوهم امـرأة ضـرتها بعطـاء خصـها به زوجها لتغيظها أو تتفاخر عليها)[1].

---

[1] (?) أخلاق المسلم: (ص64).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قـــــــال النبي ﷺ: **«أفرى الفري أن يـرى الرجل عينيه ما لم تريا»**[1].

وعن أسـماء رضي الله عنها أن امــرأة قـالت: يا رســول اللــه، إن لي ضــرة فهل عليَّ جناح إن تشبعت من زوجي غير الــذي يعطيــني؟ قـال ﷺ: **«المتشـبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»**[2]، **«المتشبع أي المتكـاثر بأكثر مما عنده يتجمل بـذلك، كالـذي يُـري أنه شـبعان وليس كـذلك، ومن فعله فإنما يســخر من نفســه، وهو من أفعال ذوي الزور»**[3].

والعمل الصادق هو الـذي لا ريبة فيه لأنه وليد اليقين، ولا هـــــوى معه لأنه قـــــــرين الإخلاص، ولا عـوج عليه لأنه نبع من الحـق. ونجــاح الأمم في أداء رســالتها، يعــود إلى جملة ما يقدمه بنوها من أعمــال صــادقة، فـإن كـانت ثروتها من صـدق العمل كبـيرة،

---

1 (?) أخرجه البخاري.

2 (?) أخرجه البخاري.

3 (?) النهاية لابن الأثير: (2/441).

سبقت سبقًا بعيدًا، وإلا سقطت في عــرض الطريــق، فـإن التهـريج والخبـط، والادعـاء والهزل؛ لا تغني فتيلا عن أحد. قـال تعـالى: **قَـدْ أَفْلَحَ مَنْ تَـزَكَّى * وَذَكَـرَ اسْـمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**[1].

وحينما يكــون العمل تعبــيرًا صــادقًا عما في النفس يكـــــون ممارسة صـــــادقة من ممارسات تزكية النفس، قال الله تعـالى: **فَأَنْــذَرْتُكُمْ نَــارًا تَلَظَّى * لَا يَصْــلَاهَا إِلَّا الْأَشْـــــقَى * الَّذِي كَــــذَّبَ وَتَـــــوَلَّى * وَسَــيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُـؤْتِي مَالَـهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَــوْفَ يَرْضَى**[2].

فهذا يؤتي ماله مخلصًا، جاهدًا في تزكية نفسه وتطهيرها من حظ الشيطان.

وقد يكـــــون صـــــدق العمل في بعض الطاعـات سـببًا في تزكية النفس وتطهيرها من ممارســات أخــرى فيها دنس، ولــذلك جعل الله من وسائل مداواة الـذين خلطـوا

---

[1] (?) سورة الأعلى: الآيتان 14، 15.

[2] (?) سورة الليل: الآيات 14-21.

عملاً صالحًا وآخر سـيئًا واعـترفوا بـذنوبهم، أخذ قسط من أموالهم على سبيل الصـدقة لتطهـيرهم وتـزكيتهم. قـال الله تعـالى: ﴿ **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُـوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَـى اللَّهُ أَنْ يَتُـوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُــورٌ رَحِيمٌ * خُـــذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَـدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُـزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَـــلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَـــلَاتَكَ سَـــكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْبلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُـوَ يَقْبَــلُ التَّوْبَــةَ عَنْ عِبَــادِهِ وَيَأْخُــذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الــرَّحِيمُ**﴾ [1].

وللتربية أثر عظيم في تزكية النفس، ولذلك كانت من مهمات الرسول ﷺ التربوية تزكية نفوس أصحابه، قال الله تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَــلْنَا فِيكُمْ رَسُــولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُـــــــزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَــــــابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَـاذْكُرُونِي أَذْكُـرْكُمْ وَاشْـكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ [2].

---

1 (?) سورة التوبة: الآيات 102-104.

2 (?) سورة البقرة: الآيتان 151، 152.

وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[1].

* * *

6- الصدق في الشهادة والأيمان والبيع والشراء

الصدق في الشهادة:

أمره عظيم وجليل، والكذب فيها من أعظم الكبائر وأخطرها بل السكوت عنها مع العلم بها إثم ومعصية. يقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[2].

هذا تصريح من الله تعالى في أن الكاتم للشهادة آثم قلبه. فكيف إذا كان الإنسان يكذب بالشهادة، ويقول الرسول ﷺ فيما رواه أبو بكرة ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»** ثلاثًا. قلنا: بلى، قال: **«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل**

---

1 (?) سورة آل عمران: الآية 164.

2 (?) سورة البقرة: الآية 283.

النفس، وكـان متكئًا فجلس، وقـال: وقـول الـزور، فما زال يكررها حـتى قلنا: ليته سكت»[1].

الصدق في الأيمان (بفتح الهمزة):

الأيمـــــان جمع يمين، واليمين: القسم والحلف، والكـذب في القسم أمـره عظيم؛ لأن الكـــاذب في هـــذه الحالة تحمل وزر الكـذب ووزر الخديعة حيث صـدقه النـاس بقسـمه وجعل الله عرضة لأيمانه الكاذبـة. ولقد شـــرع الإســلام لمن أقسم على أن يعمل شـيئًا ولم يتمكن منــه، أن يكفر عن يمينه، أما إذا أقسم على شـيء وكـذب في قسمه، وكـانت نتيجة القسم إبطـال حق أو إحقاق باطل وضياع حق، فهذا لا كفارة له.

قـــال بعض العلمـــاء: (ليس له إلا التوبة وإعادة الحق لأصحابه)[2].

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة : قـال رســـــول الله : **«خمس ليس لهن كفـارة، الشـرك بالله، وقتل النفس**

---

1 (?) أخرجه البخاري.

2 (?) ينظر «أخلاق المسلم وكيف نـربي أبناءنا عليها»: (ص67).

بغير حـق، وبعث المتـوفي، والفـرار من يوم الزحف ويمين صابرة يُقتطع بها مال بغـير حق»[1] واليمين الصـابرة، هي اليمين الـتي ألـزم صـاحبها وحبس من أجلها، فوصفت بالصبر وأضيفت إليه مجازا.

وقيـــل: اليمين الصـــابرة هي اليمين الغمـوس الـتي تغمس صـاحبها في النـار، والعياذ بالله تعالى، ذلك لأن صـاحبها اقتطع بها مالا بغير حق، أما الكفـارة فقد وضـحتها الآية التالية.

قـال تعـالى: **﴿لَا يُؤَاخِـذُكُمُ اللَّهُ بِـاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِـذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَـانَ فَكَفَّارَتُـهُ إِطْعَـامُ عَشَـرَةِ مَسَـاكِينَ مِنْ أَوْسَـطِ مَا تُطْعِمُـونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْـوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيـرُ رَقَبَـةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِـدْ فَصِـيَامُ ثَلَاثَـةِ أَيَّامٍ ذَلِـكَ كَفَّارَةُ أَيْمَـانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُـوا أَيْمَـانَكُمْ كَـذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِـهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[2].

الصـدق في المعـاملات والـبيع

---

1 (?) أخرجه أحمد في المسند.

2 (?) سورة المائدة: الآية 89.

والشراء:

على التاجر المسلم أن يتحرى الصدق ويفي بالوعد فإنه رأس ماله فعن عبد الله بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: **«أربع من كن فيه كان منافقا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا أوتمن خان»**[1].

والصدق سبب الخير ومفتاح البركة؛ إذ يقول رسول الله ﷺ: **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»**[2].

والواقع الذي لا شك فيه أن التزام الصدق في البيع والشراء أمر يحتاج إلى إرادة صلبة، وعزيمة قوية، وإيمان وطيد، واحتمال كريم للتبعات، ولذلك قال بشر بن

---

1 (?) أخرجه الفريابي من طرق كثيرة جدًا في كتابه، صفة النفاق: ص22 وما بعدها.

2 (?) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد.

الحارث: (من عامل الله بالصدق استوحش الناس) وقال ابن القيم: (لحمل الصدق كحمل الجبال الرواسي، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم) يتحلى الإنسان بأدب الصدق فيشرف قدره وتطيب حياته، ويصفوا باله.

أما شرف القدر فإن الصدق يدل على نقاء السريرة وسمو الهمة ورجحان العقل، كما أن الكذب عنوان سفه العقل وسقوط الهمة وخبث الطوية. وقد جاء ما يرشد إلى أن الصدق حسنة تنساق بصاحبها إلى حسنات، وأن الكذب سيئة تنجر به إلى السيئات، في حديث: الصدق يهدي إلى البر.

ولا يستقيم لأحد سؤدد، أو يحرز في قلوب الناس مكانة إلا حيث يهبه الله لسانا صادقًا، وإذا ابتغى بالكذب منزلة فإنما يتبوؤها بين طائفة ضربت في أدمغتهم الغباوة أو طائفة تؤثر اللهو على الجد، ويشغلها الخداع عن النصيحة.

وأما طيب العيش فإن الناس لا يطمئنون إلا إلى معاملة الصادق الأمين،

وشأنهم الانصراف عمن ألفــوه يضع الكلمة في غير واقع. وقد يحرص التاجر أو الصــانع على درهم أو دينــــار يقتنصه بكلمة غــــير صـادقة، فـإذا هو يضـيع سـمعة طيبة وربحًا وافرا.

ومن الشــاهد أن الصــدق يكسب الرجل وقـــارًا، ويلقي له المــــودة في عشــــيرته والنـــاس أجمعين: احـــترام النـــاس للرجل الصــــادق، مما يــــدعوهم إلى النصح في صــحبته، وإذا وضع بين أيــديهم شـــأنا من شؤونه الحيوية قاموا عليها بإخلاص.

وأما صفاء البال فمن ناحيتين:

أولهما: أن مـرتكب الرذيلة لابد أن يحس بوخز في ضميره، ويسـمى تـوبيخ الضـمير، والكــذب من أفظع الرذائــل، فــوخزه في الضمير غير يسير. ومتى سـار الإنسـان في طريق الصدق وأقام بينه وبين الكذب حصنا مانعًا عاش في صفاء خـاطر وراحة ضـمير، ولم يكن لهــــذا الــــوخز النفسي عليه من سبيل.

ثانيهمـــا: أن من يلطخ لســـانه بـــرجس الكذب لابد من أن تبدو سريرته، ويجر عليه

شـــؤم هـــذه الرذيلة شـــقوة، فلا يلاقي من الناس إلا ازدراء. وربما رمـوه بـالتوبيخ في وجهـه. أما صـادق القـول فإنه يظل ضـافي الكرامـــــة، آمنا من مثل هـــــذا الخطـــــاب المشين.

والمؤمنـــــون الحقيقيـــــون هم الـــــذين يحرصون على هـذا الصـدق لأنهم يتـذكرون ثوابه الجليل، قـال تعـالى: **﴿قَالَ اللَّهُ هَـذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾**[1].

وعلى التاجر المسلم أن يتحـرى الصـدق فلا يكـــذب فلو حلف وكـــان كاذبا فقد جـــاء بـــاليمين الغمـــوس وهو من الكبـــائر قـــال رسـول الله ﷺ: **«الحلف منفقة للسـلعة ممحقة للكسب»**[2].

* * *

[1] (?) سورة المائدة: الآية 119.

[2] (?) أخرجه البخاري.

7- الصدق في المزاح والمدح والوعد والوعيد

الصدق في المزاح:

لقد كان سيرة رسولنا سيرة عطرة كل حدث فيها درس من دروس الأخلاق والآداب.

روى أبو داود عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله : **«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وأن كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»**[1].

حدد رسول الله في هذا الحديث ثلاثة أماكن في الجنة كل مكان لمن يتصف بصفة معينة، أحدها: (ترك الكذب وأن كان مازحا)، وهذا وعد من الرسول كما يبين أن الكذب صفة مشينة حتى ولو كان على سبيل المزاح وإضحاك القوم.

فقد ورد في الحديث: **«ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل**

---

1 (?) سنن أبي داود، وإسناده صحيح.

له، ويل له»[1].

والمـزاح الـذي لا يتصف بالكـذب أمـره طيب وممـــــــــــدوح فيه ملاطفة ومداعبة الإخـوان تسـتمتع به النفـوس، وشـرط ذلك في آداب السـلام أن يكــون حقا وصــدقا وبِقَدْرٍ أيضًـا. وقد ورد أن الصـحابة رضـوان الله عليهم قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: **«إني لا أقول إلا حقًّا»**[2].

وأتت امــرأة عجــوز إلى رسـول الله فقــالت: يا رســول الله ادع الله تعــالى أن يدخلني الجنـة، فقـال: يا أم فلان: إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكي، فقال: أخبرت أنها لا تــدخلها وهي عجــوز، إن الله تعــالى يقول: **إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَـارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا**[3]، والرســول في هذا كله لم يقل إلا حقًّـا، فمثل هـذا المـزاح تطيب به نفس المخاطب وتكون المؤانسة.

الصدق في المدح:

امتـــــــازت الأمة الإســـــــلامية بالقصد

---

1 (?) سنن أبي داود، كتاب الأدب.

2 (?) سنن الترمذي.

3 (?) سورة الواقعة: الآيات 35-37.

والاعتـدال في جميع شـئونها قـال تعـالى: ﴿ **وَكَــذَلِكَ جَعَلْنَــاكُمْ أُمَّةً وَسَـــطًا**﴾[1]. فلا إفراط ولا تفريط.

عن أبي بكــرة قــال: أثــنى رجل على رجل عند رسـول الله فقـال لـه: **«ويحك قطعت عنق صـاحبك قالها ثلاثـا. ثم قال: من كـان مادحا أخـاه لا محالـة. فليقــل: أحسب فلانا والله حســيبه ولا يـــزكى على الله أحـــدا، أحسب فلانا كــذا وكــذا»** ويصــفه بما فيه **«إن كان يعلم ذلك منه»**[2].

فـإذا رغب المسـلم بمـدح أخيه ليشـجع على مكارم الأخلاق فيحسن أن يكــون ذلك في غيبتـــه، لئلا يـــدخل الغـــرور إلى نفس الممــدوح، وأن يكــون الثنــاء صــدقا ودون مبالغة مراقبا وجه الله تعالى في ذلك.

الصدق في الوعد والوعيد:

أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قــال: قــال رســـول الله : **«لا تمــار أخــاك ولا تمازحــه، ولا تعــده**

---

[1] (?) سورة البقرة: الآية 143.

[2] (?) أخرجه البخاري.

موعدا فتخلفه»[1].

إذا انتشر الكـــــذب في الوعد والإخلاف في العهد بين أفراد المجتمع انعـدمت الثقة فيما بنيهم، وانقطع المعروف وعمل الخـير، وعاش الناس في حذر من بعضهم، لــذا عد الرســول الإخلاف في الوعد من صــفات المنافقين.

فعن أبي هريرة أن رسول الله قـال: **«آية المنــافق ثلاث: إذا حــدث كـذب وإذا وعد أخلــف، وإذا أوتمن خــان»** متفق عليــه، زاد في رواية مســلم: **«وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»**[2].

وقد امتدح الله تعالى الصـادقين بالوعيد والمـوفين بالعهد بآيـات كثـيرة منهـا: قوله تعـــــالى يصف المؤمـــــنين: **وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَـاتِهِمْ وَعَهْـدِهِمْ رَاعُـونَ**[3]؟ وقـال تعـالى عن إســماعيل: **إِنَّهُ كَـانَ صَــادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**[4].

---

1 (?) سنن الترمذي.
2 (?) تقدم تخريجه.
3 (?) سورة المعارج: الآية 32.
4 (?) سورة مريم: الآية 54.

والعهود والمواثيق يأخـذها المسـلم على نفسه في علاقته بإخوانه هو أمانة التعامل في المجتمع المسـلم الطـاهر النظيـف. والوفـاء بتلك الأمانـات هو واجب الإيمـان بالله وبرسـوله وما لم يف المسـلم بها كـان خائنًا للـه، وخائنًا لرسـوله وخائنًا للأمانـات الـتي أخـذها على عاتقه وتعهد بالوفاء بها.

وعلى أربـاب الحـرف والصـناعات، أن يجعلـوا من كلمتهم قانونًا مـرعي الجـانب، يقفـون عنـده ويستمسـكون بـه، فإنه لمن المؤسف أن الوعود المخلفة، أصبحت عادة مـأثورة عن كثـير من المسـلمين، مع أن دينهم جعل الوعود الكاذبة أمارة النفاق.

وقد كان رسول الله يقدر الكلمة الـتي يقـول، ويحـترم الكلمة الـتي يسـتمع لهـا، وكان ذلك شارة الرجولة الكاملة فيه، حـتى قبل أن يرسل إلى الناس.

عن عبد الله بن أبي الحمسـاء قـال: **«بـايعت رسـول الله بيعًا قبل أن يبعث فبقيت له بقيـة. فوعدته أن آتيه بها في مكانـه، فنسـيت، ثم**

ذكـرت بعد ثلاث فجئت فـإذا هو في مكانـه. فقـال: يا فـتى لقد شـققت علي، أنا هاهنا ثلاث أنتظرك»[1].

انظر كيف توزن الكلمة ويـوجب تنفيـذها حتى لا تذهب هباء مع اللغو الضائع على أن الوعـــود الكاذبة ليست فقط كلاما يـــذهب ســـدى، ولكنها خـــرق للمصـــالح، وإضـــرار بالنـــاس، وإهـــدار للأوقـــات. وليس صـــدق الوعد خلة تافهـــة، إنها محمـــدة ذكرها الله عز وجل في منـاقب النبـوة: ﴿**وَاذْكُـرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْـــدِ وَكَـانَ رَسُـولًا نَبِيًّا * وَكَـانَ يَـأْمُرُ أَهْلَـهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِـــيًّا**﴾[2].

وســـرد الصـــفات الفاضـــلة على هـــذا الـــترتيب، يـــدلك على ما لصـــدق الوعد من مكانة، ولقد كـان إسـماعيل أصـدق النـاس وعدا حين قـال لأبيـه: ﴿**سَتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾[3]. لما قال أبوه: ﴿**إِنِّي**

---

1 (?) أبو داود.

2 (?) سورة مريم: الآية 54، 55.

3 (?) سورة الصافات: الآية 102.

أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَـرَى[1] فـإذا كـان الوفـاء بالوعد يجعله صادقًا فإخلافه كاذبا لا محالة.

والخلاصة أن الوعـد، هـو: إخبـار عما ستفعله في المستقبل من إحسان. وللعلماء في لزوم الوفاء بالوعد ثلاثة أقوال، ملخصها:

1- أن من وعد شخصا بإحسان وجب عليه إنجاز ما وعد وقضي عليه بأدائه. وإليه ذهب عمر بن عبد العزيز ورجحه أبو بكر بن العربي.

2- أن الوفـاء بالوعد من مكـارم الأخلاق، ولصاحبه الرجوع عنه.

3- أن الوعد المطلق غير لازم أما المقيد بسبب فإنه يلزم كالدين. وهو مذهب لفقهاء المالكية.

وأما الوعيد فهو: إخبار عما ستفعله من شر، وإخلافه يعد كإخلاف الوعد من جهة أنه كذب.. ولكن الكذب في هذه الحالة يتلاشى أمام فضيلة العفو، ولذا عد إخلاف الوعيد ممدحة، كما قال الشاعر:

---

1 (?) سورة الصافات: الآية 102.

وإني إن أوعدته   لأخلف إيعادي

* * *

8- الصدق في القرآن الكريم

يقول الله عز وجل واصفًا نفســه: ﴿وَمَنْ أَصْــدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[1]. ويقـــول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[2].

وقد فسر المفســــــرون الآية بأنه لا أحد أصـدق من الله عز وجل في حديثه وخـبره ووعده[3].

فكل ما قيل في العلــوم والأعمــال مما ينــاقض ما أخـــبر به فهو باطل لمناقضـــته للخـبر الصـادق اليقين، فلا يمكن أن يكـون حقا[4]، وهذا الاستفهام إنكاري يدل على أنه ليس هناك من أصدق من الله عز وجل.

وقد أمر الله ســـبحانه أهل الإيمـــان أن يكونوا مع الصادقين، وخصص المنعم عليهم بالنبيين والصـديقين والشـهداء والصـالحين، فقـــال: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا اتَّقُــوا اللَّهَ وَكُونُـوا مَـعَ الصَّـادِقِينَ﴾[5]، وقـال:﴿وَمَنْ

---

1 (?) سورة النساء: الآية 122.

2 (?) سورة النساء: الآية 87.

3 (?) انظر «تفسير ابن كثير» (1/457).

4 (?) «تيسير الكريم الرحمن»: (1/119).

5 (?) سورة التوبة: الآية 119.

يُطِـعِ اللَّهَ وَالرَّسُـولَ فَأُولَئِكَ مَـعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّـــدِّيقِينَ وَالشُّـــهَدَاءِ وَالصَّـــالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1]، فهم أهل الرفيق الأعلى، ﴿**وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾، ولا يــزال الله يمـدهم بنعمه وألطافـه، ويزيد إحسـانا منه وتوفيقـــا، ولهم مزية المعية مع اللـــه، فـإن الله تعـالى مع الصـادقين، ولهم منزلة القـــرب منـــه؛ إذ درجتهم منه ثـــاني درجة النبيين، وأثـنى عليهم بأحسن أعمـالهم: من الإيمان، والإسلام، والصدقة، والصبر وبأنهم أهل الصـدق فقـال: ﴿**وَلَكِنَّ الْبِـرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِـرِ وَالْمَلَائِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾[2] إلى قولـــــــه: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ صَـــدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُــونَ**﴾، وهـــذا صـريح في أن الصـدق بالأعمـال الظـاهرة والباطنــة، وأن الصــدق هو مقــام الإسـلام والإيمان.

وقسم ســـبحانه النـــاس إلى صـــادق ومنـافق، فقـال: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّـادِقِينَ**

---

1 (?) سورة النساء: الآية 69.

2 (?) سورة البقرة: الآية 177.

بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَـاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ [1].

والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحـدهما يحارب الآخر، وأخبر سبحانه أنه في القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صـــدقه، فقال تعالى: **هَذَا يَـوْمُ يَنْفَـعُ الصَّـادِقِينَ صِـــدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْــرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَا أَبَـدًا رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِـكَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ** [2]، وقال: **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُـونَ * لَهُمْ مَا يَشَـاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُـوا وَيَجْـزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** [3].

فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصـدق في قوله، وعمله وحاله.

فالصـدق في الأقـوال: اسـتواء اللسـان على الأقوال؛ كاستواء السنبلة على ساقها،

---

1 (?) سورة الأحزاب: الآية 24.

2 (?) سورة المائدة: الآية 119.

3 (?) سورة الزمر: الآيات 33-35.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعـال على الأمر والمتابعـــة؛ كاســـتواء الـــرأس على الجســـد، والصـــدق في الأحـــوال: اســـتواء أعمـــال القلب والجـــوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة.

فبـــذلك يكـــون العبد من الـــذين جـــاءوا بالصدق، وبحسب كمـال هـذه الأمـور فيـه، وقيامها به تكون صدِّيقِيَّتُه، ولذلك كـان لأبي بكر الصـديق ذروة الصـديقية، حـتى سـمي الصـــديق على الإطلاق، والصـــديق أبلغ من الصـــدوق، والصـــدوق أبلغ من الصـــادق، فـأعلى مـراتب الصـدق مرتبة الصـديقية، وهي كمـال الانقيـاد للرسـول ، مع كمـال الإخلاص للمرسل.

قد أمر سـبحانه رسـوله أن يسـأله أن يجعل مدخله على الصـدق، فقـال: **﴿وَقُـلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُـدْخَلَ صِـدْقٍ وَأَخْـرِجْنِي مُخْـرَجَ صِـدْقٍ وَاجْعَـلْ لِي مِنْ لَـدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾**[1].

وأخـبر عن خليله إبـراهيم أنه سـأله أن

---

[1] (?) سورة الإسراء: الآية 80.

يجعل له لسـان صـدق في الآخـرين، وبشر عبـاده أن لهم قـدم صـدق، ومقعد صـدق، فقال: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُـوا أَنَّ لَهُمْ قَـدَمَ صِــدْقٍ عِنْــدَ رَبِّهِمْ**﴾[1]، ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ**﴾[2].

فهـذه خمسة أشـياء: مـدخل الصـدق، ومخـرج الصـدق، ولسـان الصـدق، ومقعد الصدق، وقدم الصدق، وحقيقة الصـدق في هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل باللـه، الموصل إلى اللـه، وهو ما كـان به وله من الأعمـال والأقـوال. وجـزاء ذلك في الـدنيا والآخرة.

وقد وصف الله عز وجل رسـوله بالصدق. يقول الله عز وجل: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَـانَ صِـدْقٍ عَلِيًّا**﴾[3]. فوصف الأنبيـاء وذريتهم بأنه أعطاهم لسان صدق.

ويقول: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْـمَاعِيلَ**

---

1 (?) سورة يونس: الآية 2.
2 (?) سورة القمر: الآيتان 54، 55.
3 (?) سورة مريم: الآية 50، وانظر بصائر ذوي التمييز: (جـ3).

﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُـولًا نَبِيًّا﴾[1]. فوصف إسـماعيل بأنه كـان صـادق الوعـد، وقـال لنبيه إدريس ﴿ **إِنَّهُ كَـانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾[2].

* * *

9- آثار الصدق في الحياة الفردية

الصدق يـورث التقـوى والمغفـرة والأجر العظيم، لقد حث الله عز وجل المؤمـنين على الالـتزام بالصـدق وأثـنى عليهم يقـول الله تعالى: ﴿**يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَكُونُـوا مَـعَ الصَّـادِقِينَ**﴾[3]، ويقـول: ﴿**وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ**﴾[4]، وهـؤلاء ممن قال عنهم: ﴿**أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِـرَةً وَأَجْـرًا عَظِيمًا**﴾، ويقول: ﴿**فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَـانَ خَيْرًا لَهُمْ**﴾[5].

ففي الآية الأولى يحث الله عز وجل عباده الصـالحين المؤمـنين بـأن يصـاحبوا الصادقين، وذكر قبله التقوى: ﴿**اتَّقُـوا اللَّهَ**﴾

---

1 (?) سورة مريم: الآية 54.
2 (?)سورة مريم: الآية 56.
3 (?) سورة التوبة: الآية 119.
4 (?) سورة الأحزاب: الآية 35.
5 (?) سورة محمد: الآية 21.

ويفهم من هـذا أن الـتزام الصـدق يـورث التقـــوى في الإنســـان، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِي جَـاءَ بِالصِّـدْقِ وَصَـدَّقَ بِـهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[1].

وفي الآية الثانية ذكر الله عز وجل أنه وعد الصـــادقين المغفـــرة والأجر العظيم، مـاذا يريد المـؤمن غـير هـذا؟ المغفـرة من الله عز وجل والأجر العظيم كـــان يكفي له أن يغفر ذنوبـه، لكن عطـاء الله عز وجل لا يقف عند هذا فإنه أعد للمؤمنين الصـادقين ما لا عين رأت ولا أذن ســـمعت ولا خطر على قلب بشـر، ولو وضـعنا أمـام هـذه ما ورد في الحديث أن الصـدق ينجي والكـذب يهلك لاتضح لنا جليًا أن الكـــذب فعل يهلك الإنسان، في دينه ودنياه.

الصـدق أسـاس في تقوية القيم الروحية وتزكية النفـوس البشـرية وتطهـير القلـوب والـرقي بـالأمم إلى الفضـيلة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ: بما يعرف المؤمن؟ قال: «**بوقاره، ولين**

---

[1] (?) سورة الزمر: الآية 33.

كلامه، وصدق حديثه»[2].

وفي الحـــــديث: **«إن أهل الجنة كل عين هين سهل طلق»**.

وقال بعض الحكمـاء: الصـدق أزين حلية والمعروف أربح تجارة والشكر أدون نعمـة. وتفشي خلق الصـــدق بين النـــاس ينفي النفـوس من الشـوائب والرذائل والـدنس، قال عمر بن الخطـاب : (أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم أسـمًا فـإذا رأينـاكم فـأحبكم إلينا أحسنكم خلقًا، فإذا اختبرنـاكم فـأحبكم إلينا أصدقكم حديثًا).

* ظهـــور علامـــات الصـــدق في وجه الصادق، فالصادق تظهر علامة صـدقه على وجهه وصـوته، فكـان رسـول الله يتحـدث إلى من لا يعرفـــه، فيقـــول: والله ما هـــذا بوجه كـذاب ولا صـوت كـذاب. ولا شك أن أهمية الصدق تـؤثر على الصـادق كما تـؤثر على المخاطب مما يحمله على قبول قــول المتكلم الصادق واحترامه.

* والصـدق فيه النجـاة، لقد كـانت قصة

---

2 (?) رواه هنـاد عن مجمع بن يحـيى مرسـلا، حديث حسن.

المخلفين الثلاثة من أشـــهر القصص ومثلاً بالغًا لأروع الصور في صدق صحابة رســول الله كـــان أحد أبطالها كعب بن مالـــك، والثاني: مرارة بن الربيع، والثالث: هلال بن أمية، والقصة بإيجـاز هي: في غـزوة تبـوك تخلف ثلاثة من المسلمين من غـير شك ولا نفــاق هم الثلاثة المــذكورون آنفًا فلما رجع رسول الله إلى المدينة، جـاءه المخلفـون فاعتــــذروا إليه فقبل عـــــذرهم، ووكل ســرائرهم إلى اللــه، وجـاءه كعب بن مالك فلما سلم على رســول الله تَبَسَّـمَ تَبَسُّـمَ المغضب، وقال كعب: ثم قال: تعال. فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقـال لي: ما خلفـــك؟ ألم تكن قد اشـــتريت ظهـــرك؟ فقلت: يا رسول اللــه، والله لو جلست عند غـيرك من أهل الـدنيا لـرأيت أني سـأخرج من ســخطه بعــذر، أعطيت جــدلاً، ولكــني والله لقد علمت، لئن حـدثتك اليـوم حـديث كـــذب ترضى عـــني به ليوشـــكن الله أن يسخطك علي، ولئن حـدثتك بحـديث صـدق تجد علي فيــه، وإني لأرجو فيه عقــابي من اللــه، والله ما كـان لي عـذر، والله ما كنت

قط أقوى ولا أيسر من حين تخلفت عنك، فقال : **«أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»**. وفعل مثل ما فعل كعبٌ مرارةُ بن الربيع، وهلالُ بن أمية، ونهى رسول الله عن كلام هؤلاء الثلاثة ولبثوا على ذلك خمسين ليلة لا يكلمهم أحد من الصحابة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فماذا كان جزاء صدق هؤلاء الثلاثة؟ لقد نزل الوحي بتوبتهم، وأصبحت قصتهم قرآنا يتلى، وتسارع الصحابة يحملون بشرى هذه التوبة إلى كعب بن مالك فقدم إلى رسول الله قال كعب: فلما سلمت على رسول الله وهو يبرق وجهه من السرور. قال: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: **«لا، بل من عند الله»** فقلت: يا رسول الله إنما أنجاني الله بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، فوالله ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله أحسن مما أبلاني الله تعالى، والله ما

تعمـدت كلمة منذ قلت ذلك لرسـول الله ﷺ إلى يـــومي هـــذا كـــذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، وأنـزل الله تعـالى: ﴿**لَقَدْ تَـابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَـاجِرِينَ وَالْأَنْصَـــارِ الَّذِينَ اتَّبَعُـــوهُ فِي سَـــاعَةِ الْعُسْـرَةِ مِنْ بَعْـدِ مَا كَـادَ يَزِيـغُ قُلُـوبُ فَرِيـــقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَـــابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَـــــــةِ الَّذِينَ خُلِّفُـوا حَتَّى إِذَا ضَـاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَـــاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُـــهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَـأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْـهِ ثُمَّ تَـابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُـوا إِنَّ اللَّهَ هُـوَ التَّوَّابُ الـرَّحِيمُ * يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[1].

ومما ورد في سير التابعين هذا الأثر:

كـان ربعي بن حـراش العبسي الكـوفي صـدوقًا ثقــة، ذكر عند أهل السـير أنه من خيار الناس، لم يكن يكـذب كذبة قـط، وهو

---

[1] (?) سورة التوبة: الآيات 117-119، والقصة مشـهورة في كتب الأحـاديث والسـير، ينظر سـيرة ابن هشـام وصـحيح البخـاري، كتـاب المغازي.

من رجـــــال الســـــنة، وله موقف رائع مع الحجاج الذي كان يأخذ بالظنة، كـان صـدقه منجاة أنقذ الله به ولديه من بطش الحجـاج وتعسـفه. قـال أبو نعيم في الحليـة: حـدثنا سـفيان، قـال: ذكـرت ربعي، وتـدرون من ربعي؟ كأنه ربعي من أشـــــجع، زعم قومه أنه لم يكـــذب قط فســـعى به ســـاع إلى الحجـاج بن يوسـف، فقـالوا: ههنا رجل من أشـجع زعم قومه أنه لم يكـذب قـط، وأنه سيكذب لك اليـوم، فإنك ضـربت على ابنيه البعث، وهما في البيت فغضــب، فبعث إليه فإذا شيخ منحنٍ، فقـال لـه: ما فعل ابنـاك؟ قــال هما هــذان في الــبيت، قــال: فحمله وكساه وأوصى به خيرًا)[1].

وقــال ابن خلكـان: (يقــال عن ربعي بن خراش العبسي الكوفي أنه لم يكذب قــط، وكان له ابنان عاصـيان زمن الحجـاج، فقيل للحجاج، إنَّ أباهما لا يكذب قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما؟ فأرسل إليه، فقال: أين ابنــاك؟ فقــال: هما في الــبيت، قــال: قد

[1] (?) حلية الأولياء.

عفونا عنهما لصدقك)[1].

* الصدق يؤدي إلى الخير، قال تعـالى: ﴿ **فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَـوْ صَـدَقُوا اللَّهَ لَكَـانَ خَيْرًا لَهُمْ**﴾[2].

* الصدق ينجي العبد من أهوال القيامـة، قـال تعـالى: ﴿**هَذَا يَـوْمُ يَنْفَـعُ الصَّـادِقِينَ صِدْقُهُمْ...**﴾[3].

* الصـدق يـورث منـازل الشـهداء، فعن سـهل بن حـنيف ؓ أن النـبي ﷺ قـال: **«من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشـهداء، وإن مـات على فراشه»**[4].

* والصـــدق يـــورث الطمأنينة والراحة النفســـية، فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: **«دع ما يريبك إلى ما لا ريبـــك، فـــإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة»**[5].

---

1 (?) وفيات الأعيان.

2 (?) سورة محمد: الآية 21.

3 (?) سورة المائدة: الآية 119.

4 (?) رواه مسلم.

5 (?) أخرجه الترمــذي، وقــال حــديث حسن

* * *

10- آثار الصدق في الحياة الاجتماعية

*** في الصدق البركة:**

إن الصـدق له آثـاره الحميـدة في تعامل الناس بيعًا وشراء وإجارة، هذه الآثـار الـتي تــؤتي ثمارها في الــدنيا بالنمــاء والبركــة، وتـؤتي ثمارها في الآخـرة بـالثواب والأجـر، وعلى النقيض من ذلك يكـــون الكـــذب ممحقة للبركة ومناطا للعقاب.

عن حكيم بن حــزام أن النــبي ﷺ قــال: **«البيعان بالخيـار ما لا يتفرقـا، فـإن صـدقا وبينا بـورك لهما في بيعهمـا، وإن كتما وكــــــذبا محقت بركة بيعهما»**[1].

في الصدق سـعادة المجتمع والمحبة بين النـــاس والشـــعور بالثقة المتبادلة:

ليس الصـدق فرعا من الشـجاعة الأدبية فحســب، ولكنه ثمرتهــا، وهو فــوق ذلك

صحيح.

[1] (?) أخرجه البخاري وغيره.

ضـرورة من ضـرورات الحيـاة الاجتماعية لا تستقيم إلا به.

إن من آثار الصــدق ونتائجه في المجتمع إشاعته المحبة بين الناس حيث يشعر أفراد المجتمع بالثقة المتبادلة ويرسي أسس التعاون الهـادف بين النـاس، ويسـاعد على نشر الفضـائل وتقـدير ذويهـا، ويجعل للحق هيبة في المجتمــــــع، تحد من مجـــــــاراة المنحرفين ومداهنة المنافقين.

تسعد الجماعة وتنتظم شؤونها على قدر احتفاظها بفضـــيلة الصـــدق، فالمعـــاملات: كالبيع والإجارة والقــرض والشــركة لا يتسع مجالها ويستقيم سـيرها إلا أن تـديرها لهجة صادقة.

والأمة الــتي تســود فيها فضــيلة صــدق الحديث، حتى يكون القائم بأي عمل موضع ثقة الجمهور، تتقــدم حالتها الاقتصــادية، ولا يجد عدوها الوسيلة إلى مزاحمتها ما دامت جادة صادقة.

والصـــداقات الـــتي تجعل أفـــراد الأمة كالجسد الواحد، إنما يشتد رباطها على قدر ما يكون لهؤلاء الأفراد من الاحتفاظ بصـدق

الحديث والتعامل.

وقد يكـون للكـاذب صـديق من صـنف أصدقاء المنفعة، ولكنه لا يسـتطيع أن يتخذ من إخوان الفضيلة صديقًا حميمًا.

فالذي يستهين بالكلمة الكاذبة، يطلق بها لسـانه، يـؤذي نفسـه، ويرهق المجتمع خللاً وفسادًا، فالكاذب لا يعد عضـوا أضل فقـط، وإنما هو عضو يحمل دما مسـمومًا لا يلبث أن يسري إلى الأعضاء المتصلة به فيؤذيها.

في الصـدق الشـعور بالمسـئولية والوقوف مع الحق:

للصدق أثـار أخروية في شـعور المسـلم بمسئوليته ووقوفه مع الحق والتزامه نهجه، طاعة للـه، وتقربا إليه فيكـون أهلا لرعاية الله وتأييده، جديرًا بها، وبـالفوز والنعيم في الدار الآخـرة، فقد أمر الله أهل الإيمـان أن يكونـوا مع الصـادقين وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصـالحين ﴿ **وَمَنْ يُطِـعِ اللَّهَ وَالرَّسُـولَ فَأُولَئِكَ مَـعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللـــهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّـدِّيقِينَ وَالشُّـهَدَاءِ وَالصَّـالِحِينَ**

وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

في الصـــدق الإيمـــان، ولا يجتمع الإيمان مع الكذب:

قال تعـالى: **﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ وَالْمَلَائِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَـــالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُـرْبَى وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَـاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَـدُوا وَالصَّـابِرِينَ فِي الْبَأْسَـاءِ وَالضَّـرَّاءِ وَحِينَ الْبَـأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**[2].

في الصدق تتذلل الصعوبات:

وذلك كلما تحـرى الإنسـان الصـدق في المواقف المختلفة ذللت له الصعوبات التي تواجه أهل الصـدق ثم يعتـاد الصـدق حـتى يكون صدِّيقًا.

الصـــدق أعظم وســـام يمنح من الأصدقاء:

فإن اختيـار الأصـدقاء الأوفيـاء يعصم من

---

[1] (?) سورة النساء: الآية 69.

[2] (?) سورة البقرة: الآية 177.

مفســـدة الكـــذب. روى الترمـــذي بإســـناد صــحيح عن الرســول ﷺ أنه قــال: **«الرجل على دين خليله فلينظر أحــــدكم من يخالل»**[1].

لقد صحب أبو بكر الصديق ﷺ رسول الله ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان به، وصــدقه إذ كذبه النـــاس في الإســـراء والمعـــراج، ورافقه في الهجـــــــرة وفي الغـــــــار وفي المشـــاهد كلها إلى أن مـــات فكـــان أعظم وسام منحه ﷺ أن سماه صديقا.

* * *

---

1 (?) سنن الترمذي.

وختامًا...

بعد هذا العرض لفضيلة الصدق فحري أن يلج المسلم أبواب الصدق لاكتسابه، وذلك بإدراك خصائصه ومزاياه وآثاره التي كشفت هذه الرسالة ما تيسر من ذلك، وأقول أنه كلما تحرى المسلم الصدق في مواقف الحياة المختلفة ذللت له الصعوبات التي تواجه الصادقين وتوطنت نفسه على ممارسة الصدق فصار ديدنا له.

ومن ذلك العرض نستطيع أن ندرك واجب الشباب المسلم في التمكين لهذه الفضيلة في حياته الفردية وفي مجتمعه، كما ندرك واجب المجتمع المسلم والدولة المسلمة في رعاية الصدق وحمايته وتمكينه في صفوف الأمة.

فالأمة الصادقة الأمينة تأخذ بعين الاعتبار معيار الصدق والأمانة في ميزان حياتها فتجعله مقياسًا لها في اختيار موظفيها بشتى مرافقها، وتوجه سياسات التربية والتعليم توجيها سديدًا في مناهجها فتخرج الأجيال المؤمنة الصادقة، وتجعل وسائل إعلامها تؤدي وظيفتها لتحقيق ذلك في

الإعلام المقروء والمسموع والمرئي.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا مع الصـادقين متحـــرين له في مواقفنا المختلفـــة، وأن يحشـرنا في زمـرة الصـديقين، وأن تطهرنا ومجتمعاتنا من أدران الكـــذب غوائلـــه، إنه سـميع مجيب، والحمد لله الـذي بنعمته تتم الصالحات.

* * *

الفهرس